

رمضان 2015

«باب العمود 2»...

الواقع المقدسي بعيداً عن الكلاسيكية

غزة - عربوة عثمان

لا تبدو العين على القدس من الخارج كما من الداخل. كثيرون اتجهوا نحو «أيقنة» القدس دينياً فقط، من دون أن يمنحوا البعد الإنساني. غير أن مسلسل «باب العمود» (2014/1/24) المقدسي جزئه الثاني بدأ أخيراً هذه النظرات الاختزالية. توغل هذا العمل الدرامي في قاع المدينة المحتلة. نأى بنفسه عن مقاربة معركة القدس الوجودية مع الاحتلال على نحو كلاسيكي ومباشر. في رمضان المقبل، سيعود هذا المسلسل الذي أنتجه «مسرح الرواة» المقدسي إلى الشاشة، بعدما غاب عن المشاهد لعامين متواصلين.

مع «باب العمود»، تصوير سخرية المقدسيين نداءً لتعسف الاحتلال ضددهم. كما تستحيل حياتهم الاجتماعية المعقدة مكشوفة إلى أبعد حد، من دون الحاجة إلى

سيعرض على قناة «معا»
بعد صلاة التراويح

تجميل الواقع. في هذا العمل، لا وجود لصور مبتورة. كاميرا المسلسل لا تعرف التقاط مشاهد كليشيهية بشخصياتها وحواراتها. نجح المخرج إسماعيل الدباغ في كسر القوالب التي حُطت داخلها الإنسان المقدسي على الشاشات التي لطالما صورته على أنه إنسان صلب يُحرم عليه التعب أو الشكوى. يبدو الدباغ وكأنه يمسك بعدسة تكبير يصوبها نحو تفاصيل وزوايا غائبة عن المشاهد، من دون حرفها عن كابوس الاحتلال الذي يشكل جزءاً كبيراً منها.

من خلال مصلح الغسالات حسن

بظاظو وزوجته حسنية، يقترب المسلسل (سيناريو وحوار إسماعيل الدباغ وطارق السيد) من قضايا المقدسيين وحياتهم اليومية. الشخصيتان الرئيسيتان يؤديهما الدباغ والكاتبة مايا أبو الحيات. وهما بمثابة وجه القدس الشفاف الذي يعكس تناقضاتها. ضمن قالب السخرية المرّة، يفتح المسلسل أبواب المقدسيين الموصدة، ويخرج إلى السطح همومهم وأحلامهم بحس إنساني عال. بذلك، نجد أنفسنا أمام موضوعات حيّة، كالتهجير والتهويد والضرائب الجائرة التي يفرضها الاحتلال على أهل القدس. كما يحاكي العمل الواقع التعليمي في القدس المفضل على مفاصل العدو، وما ينطوي عليه من تهيمش للجيل الجديد.

يتحالف «باب العمود» مع البسطاء الذين يشكلون السواد الأعظم من السكان، بعيداً عن الطبقات المخملية والإقطاعيين، إذ يؤمن الدباغ بأنه «لا يمكن أن يكون ثمة حضور لنظام إقطاعي تحت وطأة الاحتلال». تأسيساً على ذلك، لا تعيش أحداث المسلسل في الأبراج العاجية، بل بين أزقة القدس وحواراتها وأسواقها الشعبية العتيقة التي لم يعتد المشاهد أن يراها، إذ تلاحظ أن الكاميرا طيلة عرض الحلقة (26 د.) ترصد الهندسة المعمارية للقدس وتجدول على تراثها الذي يواجه تحديات البقاء وسط مخططات التهويد والأسرلة. «القدس تاريخياً جميلة، غير أن سياسات الاحتلال ضد المدينة وناسها جعلتنا غير قادرين على التوقف عند جمالها وعراقتها، لذلك حان الوقت لنبرز هذا الجمال للمشاهد». يجب الدباغ على سؤالنا له حول الدافع وراء تركيز المسلسل على مشاهد العمارة المقدسية.

ويستمد «باب العمود» جماهيريته من لهجة أبطاله المقدسية الأصيلة وابتعاده عن اللغة الخشبية، إضافة إلى خفة ظل شخصياته، وتحديداً حسن وزوجته حسنية اللذين يحاولان الدفع بحالتهم الاجتماعية والاقتصادية إلى الأمام. «يحرق حريشك» و«الخناق يخنقك»، ربما كانتا أكثر العبارات الفلسطينية الطريفة تردداً في حلقات العمل. ببساطة، يصف الدباغ المسلسل بأنه «سهل ممتع بعيد عن الكليشيهات الوطنية، حيث يُعتبر بمثابة نافذة نرى من خلالها الحياة المقدسية تحت الاحتلال من منظور مغاير

تماماً للمسلسلات والشاشات العربية التي تتعامل مع القدس بمنطق عاطفي يحث». ويرى الدباغ أنه «لا طائل من نقل المسلسل لحوادث الاعتقال والهدم والتدمير في القدس على نحو صريح وسطحي كما يفعل العرب، كون الاحتلال يجيد ذلك وإقناع أكثر منه تمثيلاً». لكن ألا تخش أن يكون الجزء الثاني نسخة مكرورة تبعث السام في نفس المشاهد؟ يجيب: «لو قمنا بتنفيذ عشرات الأجزاء عن القدس، لن نفيها حقها. هناك جديد كل يوم، كما أننا زدنا جرعة الجرأة في الطرح في هذا الموسم». ويتابع:

«سنعرض مثلاً لسوق اللحامين الذي صار سوقاً للأشباح بسبب الإهمال، وسنعالج كذلك البنية الاجتماعية شبه المنهارة هناك، والفصل بين القدس ومحيطها الجغرافي، كما سننظر إلى الواقع الديموغرافي للمدينة، إلى درجة أننا نتناشع أننا نقتن في حارة ضيقة». رغم هذا الواقع المعقد، يغلب على «باب العمود 2» الأمل والضحكات، وكأن بها يواجه المقدسيون أعتى قوة احتلال على الأرض، ويصبون إلى عودة نسيجهم الاجتماعي كما كان. اللافت أيضاً أن شخصيات

مشهد من المسلسل



على صوتك

رائف بدوي

التدوين إرهاباً في مملكة الجلادين!

YOUR HIGHNESS, THIS MAN IS NOT YET READY TO GET 50 MORE LASHES. I SUGGEST A DELAY OF A FEW MORE DAYS...

OF COURSE I HEALTH COMES ALWAYS FIRST!



(تيلموكوادروس)

مريم عبد الله

كان المطلوب من القوانين الرسمية وفتوى المفتي إنهاء صوت المدونين المشاكسين، المشابهين لرائف بدوي، فيما لم تتم ملاحقة أي إرهابي أو مروج للباطنية عبر قانون مكافحة الإرهاب حتى اليوم. الأمر الذي دفع إنيصاف حيدر إلى التعليق بعد تأييد المحكمة العليا السعودية الأحد الماضي الحكم ضد زوجها بدوي بالقول: «حقيقة أنا مصدومة جداً. وأتساءل لماذا لا تجلد السعودية الإرهابيين بدلاً من مناصحتهم وتجلب أصحاب الفكر السلميين!». بدورها، رأت وزيرة خارجية السويد مارغوت فالستروم القرار استخدام لـ«أساليب القرون الوسطى»، فيما وصفت «منظمة العفو الدولية» يوم صدوره بأنه «أسود لحرية التعبير».

إذا تنتظر المدون السعودي الحائز جائزة جمعية «مراسلون بلا حدود» لعام 2014 عن فئة حرية التعبير، 950 جلدة وما يقرب من عشر سنوات في السجن لتهمة وحيدة: «تدوينات» حاول من خلالها كسر

المحرمات السعودية.

سبق الحكم الأخير، كشف «منظمة العفو الدولية» على بدوي فور نقله من زنزانته يوم 16 كانون الثاني (يناير) إلى عيادة السجن بعد تلقيه أول 50 جلدة. أوصى معها طبيب السجن بأن جرحه لم تلتئم، ما أوقف الوجبة الثانية من الجلد. رافق جلد بدوي ضجة إعلامية دولية، أحييت معها قضية على المحكمة العليا السعودية بعد الموافقة الملكية على إعادة المحاكمة، ليتم تأييد الحكم قبل أيام. قبلها، حُكم على المدون والكاتب رائف بدوي (31 سنة) في تموز (يوليو) 2013 بالسجن عشر سنوات، ولف جلدة، بعد إلقاء القبض عليه في مدينة جدة في عام 2012، بتهمة تأسيس منتدى «الشبكة الليبرالية السعودية الحرة» الذي شجّع بدوي من خلاله المدونين على الدخول في مناقشات حول دور الإسلام السياسي في المملكة.

رؤج رائف للعلمانية في عقر دار الوهابية المتطرقة، واعتبرها بوابة المملكة «للخروج من العالم الثالث

إلى العالم الأول». رفض الناشط الليبرالي إحلال حركة «حماس» مكان إسرائيل، لأنها دولة دينية ستنتشر «ثقافة الموت والجهل بين شعبها»، ما عرضه لهجوم غير مسبوق ونقصاً في التعاطف مع قضيته. لا سيما أنه مقتنع بأن الجبهة العربية السعودية يجب أن تحارب الكيان الصهيوني لأنه مرتكب المجازر الأولى في حق الفلسطينيين. ودعم بدوي أيضاً الثورة المصرية ضد حكم محمد حسني مبارك لأنها «ثورة الطلاب والمهشمين، وبداية النهاية لدول تتحكم فيهما الدكتاتورية والأمن». لكن المفارقة في إعادة المحاكمة السورية الأخيرة، لا تكشف لكتيرين كيف خسر بدوي محاميه، وليد أبو الخير، في 6 تموز 2014، أول من حوكم بقانون مكافحة الإرهاب الجديد. ليقتضي معها مؤسس «مرصد حقوق الإنسان في السعودية» عقوبة السجن 15 عاماً، والمنع من السفر مدة ماثلة، إضافة إلى غرامة مالية ضخمة، بتهمة «السعي لتقويض الدولة». وشكل هذا ضربة قاسية للدفاع عن قضية